كتاب الشهر

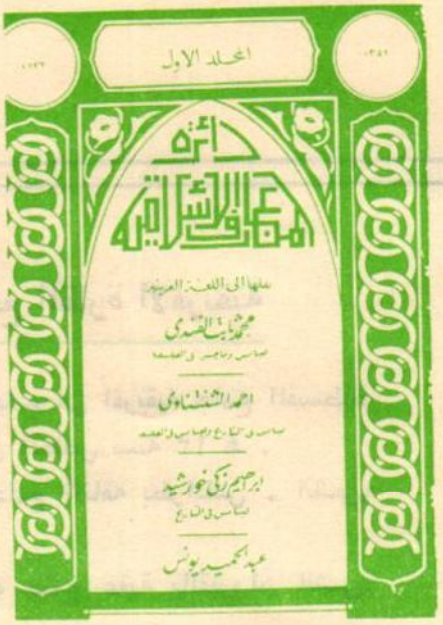

دائرة المعارف الإسلامية

وأبو هريرة والصحيحان

للشيخ : كمال أحمد عون

لمؤسسة الشعب بالجمهورية العربية المتحدة جهود طيبة فى بعث التراث العلمى والدينى ، وتيسير ما صعب اقتناؤه من أمهات الكتب ومراجع البحث ، الى جانب ما تنشر من مؤلفات حديثة نافعة .

ومن أعمالها الحالية طبع دائرة المعارف الاسلامية التى أصدرها بالانكليزية والفرنسية والالمانية أئمة المستشرقين فى العالم تحت رعاية الاتحاد الدولى للمجامع العلمية ، وينقلها الى العربية عدد من فضلاء الاساتذة العرب .

وهذه هى الطبعة الثانية بعد نفاذ ما أنجز منها ترجمة وطبعا فى المرة الاولى التى بدأت عام ثلاثة وثلاثين وتسعمائة وألف ، تحت اشراف وزارة « المعارف » على جل مجلداتها ، وقد بلغت الى حرف العين خمسة عشر مجلدا .

تعليقات العلماء :

ولقد أنصف الاساتذة المترجمون حينما اتجهوا ـ أو اتجهت وزارة « المعارف » ـ الى عدد من أعلام العلماء فى الازهر ودار العلوم والجامعة وغيرها ليسهموا فى مراجعة الترجمة ، والتعليق على بعض المواد ، وابداء الملاحظات والآراء السديدة ، مقررين أن أولئك المستشرقين لا يسلمون من هوى أو خطأ شأن الطبيعة الانسانية .

كما نصوا صراحة فى مقدمة الطبعة الثانية (الحالية) على أن هذا العمل الجليل قد تجاوز الترجمة « الى التعليق على كثير من موادها ، بالتصحيح أو التكملة أو رد هوى ، أو درء مطعن ، وتولى ذلك أئمة الكتاب والعلماء العرب .. من الاساتذة المتخصصين .

وجاءت التعليقات والتصويبات على كثير من مواد الدائرة تتوالى فى الطبعة الاولى ، وهكذا هى فى الثانية ، وتتفاوت فيما بينها ، من سطور فى الهامش الى عدة صفحات فى صلب الدائرة أثر المادة المعلق عليها ، وربما علق على المادة الواحدة أكثر من واحد ، ونشرت تعليقاتهم فى نفس المكان تباعا ، وبدأ ذلك من أول صفحة ، وفى أول مادة ، وهى مادة الالف .

□ □ □

أبو هريرة فى الدائرة :

فلما جاء دور الحديث عن أبى هريرة الصحابى الجليل رضى الله عنه ، خالف المترجمون عادتهم فى عرض المادة على بعض المختصين لمراجعتها والتعقيب عليها ، **وقد جاءت المادة مزيجا من الحقائق والاغاليط** بقلم « جولدسهير » ـ ولو كانت تلك الاغاليط هينة لأمكن التغاضى عنها ، أو التماس العذر لمترجميها .

واذ قد فاتهم واجب التعقيب والتصحيح ـ ولا ندرى لفواته سببا ـ فما كان ينبغى أن يفوتهم ما كتبه المحققون من علماء المسلمين ردا على ما جاء فى الدائرة المذكورة **من أخطاء ومفتريات** ، وما نشرته مجلة الازهر ـ عميدة المجلات الاسلامية ـ بالنسبة لأبى هريرة ، ولغيره من الموضوعات الدينية وهى كثيرة ، ثم ماتلا ذلك من مؤلفات ، ومن ترجمة لأبى هريرة فى أعلام العرب .

بل كان عليهم أن ينظروا ما دونته الدوائر العلمية التى كتبها قبلهم علماء من العرب أفذاذ ، وقد أشاروا اليها فى مقدمة الطبعة الاولى كدائرة معارف وجدى ، ودائرة معارف البستانى (بطرس) وما كتب فى الاخيرة عن أبى هريرة بمنتهى الدقة والانصاف من مصادره المعتبرة ، مع ما صحب ذلك من اجلال حقيقى لهذا الصحابى الجليل .

لقد كان عليهم أن يلحقوا شيئا من ذلك بالطبعة الاولى ، أو يستدركوه على الاقل فى الطبعة الثانية ، ولكنهم لم يفعلوا !! بل زادوا الامر تأكيدا ، والخطأ اصرارا ، بترجمة أخرى بقلم « روبصون » مضافة الى الترجمة الاولى ، **متفقة معها فى كثير من الاخطاء** ، ولم يكفها الطعن فى أبى هريرة حتى تجاوزته هذه المرة الى **الطعن من طرف خفى فى صحيحى البخارى ومسلم** .

□ □ □

وفى الحق أن لو كان وكد هؤلاء المستشرقين التحقيق العلمى فى نزاهة وصدق وتثبت لما خلطوا بين حق ثابت وباطل ظاهر ، ولكان فى بعض ما أثبتوه ما يكفى لدى المنصف لكشف وجه الحق ، ودحض كل افتراء .

والى القارىء الكريم البيان :

قال « جولد سهير » عن أبى هريرة ما نصه فى الترجمة : « قدم المدينة فى أيام غزوة خيبر عام ٧ هـ فاتصل بالنبى ولزمه منذ ذاك .. وقد شجعته ملازمته للنبى على أن يروى عنه بعد وفاته من الاحاديث أكثر مما رواه غيره من الصحابة وتقدر الاحاديث التى تضاف اليه بخمسمائة وثلاثة آلاف حديث .. ونجد بين الذين رووا عن أبى هريرة كثيرا من أكابر الاسلام فى عهده الاول .. وقد استعمله عمر على البحرين اعترافا منه بفضله فى اذاعة الاحاديث ، ولما عزل من هذا المنصب وأراده الخليفة على العمل ثانية أبى وآثر أن يعيش فى المدينة كما يعيش عامة الناس .

ووافقه صاحب الترجمة الثانية « روبصون » على هذه المعلومات ، وزاد قوله : « وقد اشتهر أبو هريرة بالتقوى » وحدد من روى عنه الاحاديث من الصحابة والتابعين بأكثر من ثمانمائة من المحدثين .

□ □ □

أبو هريرة هذا فى ملازمته للنبى صلى الله عليه وسلم لا يمكن فى رأى هذين المستشرقين أن يحيط فى بضع سنين بكل هذه الاحاديث ، والامر عند « جولد سيهر » على ما يلى :

أ) اختلق الناس قصة تبرر اعتقادهم بعصمة ذاكرته عن الوقوع فى الخطأ ، فقالوا : ان النبى لفه فى بردة بسطت بينهما أثناء حديثهما ، وبذلك ضمن أبو هريرة لنفسه ذاكرة تحفظ كل ما سمع .

ب) طريقته فى الرواية بأسلوب مؤثر يدل على ما امتاز به من روح المزاح تفسر ظهور كثير من القصص .

ج) علمه الواسع بالاحاديث التى كانت تحضره دائما أثار الشك فى نفوس من أخذوا عنه ، ولم يترددوا فى التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر حتى اضطر أن يدافع عن نفسه .

د) علينا أن نقف من أحاديثه موقف الشك والحذر .

هـ) وقد وصفه « شبرنكر » بأنه المتطرف فى الاختلاق ورعا .

وقد أتم « روبصون » صاحب الترجمة المزيدة فى الطبعة الثانية فصول الرواية فرأى : « أن الاحاديث المنسوبة اليه فيها مادة كثيرة لا يمكن أن تكون صحيحة » ثم تظاهر بالانصاف وهو يقول : ولكن يصعب علينا أن نقر ما نعته به شبرنكر بقوله : انه المنافق الورع من الطراز الاول ، لأن الاحاديث التى رفعت اليه ليست كلها بالضرورة من روايته ، فقد لا يكون أبو هريرة أكثر من سند موات نسبت اليه أحاديث وضعت فى زمن متأخر عنه .. وختم حديثه بقوله : « وقد ظهر كثير من الاحاديث التى رويت عنه فى صحيحى البخارى ومسلم » .

وخلاصة تلك الاقاويل :

١ ــ الطعن فى شخصية أبى هريرة ، وفيما روى من الاحاديث لشبهات لديهم حامت حولها .
٢ ــ نتيجة لذلك توهين من روى عنه من أكابر الاسلام فى صدره الاول وهم أكثر من ثمانمائة من العلماء الاعلام .
٣ ــ توهين الصحيحين ، وهما أصح دواوين الاسلام بعد القرآن الكريم .

□ □ □

وأى فادحة تصيب الاسلام أشد من هذه لو صح شىء مما ذكروه !! ولو لم يكن سوى هذا ثمرة لكل ما جهد أعداء الاسلام أن ينالوه من المسلمين ودينهم ، لكفى ثمنا لكل ما بذلوه فى الكيد للاسلام من جهد ومال ، بل وما أشعلوه من حروب وعدوان على المسلمين فى تاريخهم القديم والحديث .

فى الواقع التاريخى :

أما أبو هريرة رضى الله عنه فقد أسلم قبل الهجرة النبوية كما حققه الباحثون على يد سيد من قومه هو طفيل بن عمرو الدوسى ، ولما وفد مسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن خيبر لازمه فى حله وترحاله ، وكانت اقامته بالمسجد فى أهل الصفة للعبادة ، والتلقى عن رسول الله ، لا يشغله حينذاك ما شغل غيره من المال والعيال ، وقد عرف له النبى فضله وحرصه على العلم والعمل ، وأمن على دعائه أن يرزق علما لا ينسى ، وظهرت بركات دعائه صلى الله عليه وسلم فيما حمل أبو هريرة من العلم ، كما ظهر فضله بين صحابة رسول الله ، وكثرة حفظه ، وقد راجعوه واستوثقوا من روايته كشأنهم دائما فى تحرى الحديث النبوى ، وحمل عنه الحديث كثير من أعلام المسلمين صحابة وتابعين .

شبهات داحضة :

استكثر أصحاب الدائرة على أبى هريرة حفظ هذه الاحاديث فى بضع سنين ، والحديث النبوى ــ كما هو معلوم ــ قول من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو عمل من أعماله يحدث عنه من شهده ، أو اقرار على عمل الغير ــ وكما روى الحديث عن أبى هريرة بعض الصحابة فقد روى هو عن بعضهم كذلك ــ والصحابة فى روايتهم حديث رسول الله عدول .

ونسأل ويسأل كل منصف : أين حفظ هذه الاحاديث بلفظها أو بمعناها ــ ولا حرج فى ذلك ــ من حفظ القرآن الكريم بلفظه وأدائه ، ومن حفظ عشرات الالوف من القصائد كما كان رواة الادب ، ومن حفظ أنساب العرب فى تشعبها وتداخلها وشتات القبائل على وجه الجزيرة العربية ، وقد كان الصديق

أبو بكر رضى الله عنه مرجع الحفظة وامامهم ، وكان من شباب الصحابة من تعلم العبرية والتفاهم بها فى خمسة عشر يوما استجابة لتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ابن عباس ــ كما هو معروف عنه ــ يحفظ القصيدة من الشعر ــ وربما بلغت ثمانين بيتا عند سماعها لأول مرة ، وهو فى المسجد بين أصحابه .

كثرة مباركة :

أما كثرة رواية أبى هريرة فقد طال فى الاسلام عمره معلما نيف على نصف قرن ، شغل يسيرا بالولاية لعمر رضى الله عنه ، ثم عزله وقاسمه ماله على عادة عمر فى محاسبة عماله ، فلما طلبه للولاية ثانية أبى رغبة فى التفرغ لعبادته وعلمه ، ولو كان فى ولايته مغمز ما طلبه عمر ثانية .

تثبت واخلاص :

كذلك ما حسباه شكا من الصحابة فى رواية أبى هريرة أو تشكيكا فليس كما قالا ، بل هى الدقة المعهودة من صحابة رسول الله فى تلقى حديثه النبوى . ومن الاخلاص لدين الله أن يراجع بعضهم بعضا ، وأن يتثبت مثل عمر رضى الله عنه فى رواية الحديث ، فيطلب الى روى حديثا أن يأتى بمن يشهد معه فيه ، ومن الاخلاص كذلك أن يعقب أحدهم على الآخر فيما يظنه سها فيه أو غاب عنه ، لا يمنع من ذلك عظمة الراوى ، أو قوة الثقة به ، فلقد استدركت السيدة عائشة على بعض أحاديث رويت عن بعض أعاظم الصحابة ، من ذلك ما رواه البخارى من ردها رواية ابن عمر رضى الله عنه فى عذاب الميت ببكاء أهله ، فقالت : انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه ليعذب بخطيئته وذنبه وان أهله ليبكون عليه .

وفى رواية أخرى : انكم لتحدثون عن غير كاذب ولا مكذب ، ولكن السمع يخطىء أحيانا .

وهذه الاستدراكات وأمثالها من مفاخر الرواية الاسلامية فى النصح لدين الله ، وفى تحرى الصواب قدر الطاقة البشرية .

خصوصية :

ولقد انفردت الامة الاسلامية فى خصائصها العديدة بنقل الشريعة المطهرة نقلا متصلا بمصدرها الاول . فالقرآن الكريم بلفظه وحروفه منقول بالتواتر كتابة ورواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلغه جبريل عليه السلام .

والسنة منقولة برواية الثقات العدول من الصحابة والتابعين ومن يليهم ، وقد هيأ الله سبحانه لهذه الشريعة الخاتمة من أئمة الدين وحفظته من صانها من تحريف المبطلين ، وتأويل الجاهلين وكيد الحاقدين ، فأبطلوا كل باطل حاول أعداء الاسلام أن يلحقوه بالسنة ، أو يدسوا فيه على الرواة ، أو يلصقوه جهلا بالدين .

وان نقد الائمة للرواة ، وتحريهم مكانة الحديث سندا ومتنا مما لم يقدر مثله لأمة من أمم الارض لمـــا يبين عن رعاية الله تعالى لهذا الدين الذى رضيه لعباده ، فأكمله وصانه وأتم به نعمته عليهم .

تزكيـــــة :

ورواية العديد من الائمة عن أبى هريرة ــ وهذا شأنهم فى الدقة والضبط والتحرى عن الرواة ــ تزكية وأى تزكية لعدالته وعلمه وحفظه وضبطه ، بل لقد صرحوا بذلك فى مواطن كثيرة ، حفلت بالكثير الطيب منها كتب التراجم الاصيلة كالاصابة لابن حجر ، وهى منثورة فى مواطنها من كتب السنة ــ من ذلك على سبيل المثال ، قول عمر رضى الله عنه : أبو هريرة ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه ــ وقال البخارى فيه : روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم ، وكان أحفظ من روى الحديث فى عصره ــ ومثل ذلك قال عنـــه الشافعى رحمه الله . وقال عنه أبو الزعيزع كاتب مروان بن الحكم : أرســـل مروان الى ابن هريرة فجعل يحدثه ، وكان أجلسنى خلف السرير أكتب ما يحدث به ، حتى اذا كان على رأس الحول أرسل اليه فسأله وأمرنى أن أنظر فما غير حرفا عن حرف .

□ □ □

أما قول « جولد سيهر » وقد اخترع الناس هذه القصة (قصة الشملة التى لفه الرسول بها ودعا له) ليبرروا كثرة الرواية عنه ، فيكفى فى سقوطه أن يقول جولد سيهر نفسه : انه قد روى عنه أكابر أهل الاسلام . فهل كان هؤلاء الاكابر يخدعون أنفسهم عن دينهم ليستكثروا من الرواية عن أبى هريرة ؟!!

تمـــــويه :

كذلك القول بأن الاحاديث المنسوبة اليه فيها مادة كثيرة لا يمكن أن تكون كلها صحيحة ــ بهذا الاجمال فى الحكم من غير تمييز بين ما ثبت عنه ، وما نسب اليه ــ ليس ذلك القول فى الحقيقة الا تمويها بالتعميم فى العبارة ، يخيل لقائليه سهولة الطعن فيما روى عن أبى هريرة من الاحاديث ، وفيمن رووا عنه من الأثبات ، وفيما خرج أهل الصحاح له وفى مقدمتهم البخارى ومسلم ، وذلك بعيد كل البعد عن النزاهة العلمية والدقة الواجبة على البـــاحثين الذين يحترمون الحقيقة ويحترمون أنفسهم وقراءهم ــ وكان على هذين الباحثين أن يلاحظـــا **ما اعترفا به على استحياء** من أن أحاديث مما نسبتها الروايات اليه **قد نحلت له فى عصر متأخر عنه ، واذا فليس عليه منها بأس ، كما لا بأس على الصحاح منهـــا ،** بعـــد أن انتهض علماء الحديث وجهابذة السنة ، ومازوا **السقيم من الصحيح ،** وكشفوا عن **حقيقة كل راو وما روى ، والتزم أئمة الصحاح** بتخريج الصحيح فقط من الاحاديث .

كما عرض العلماء لأحاديث الصحاح بعناية خاصة وكاملة ، شارحين ومبينين وجه كل حديث مما يدق معناه على غير الدارسين .

فان كان فى نظر هذين المستشرقين من مواد الصحاح ما ليس بصحيح فأيسر ما يقال فى ذلك : انهم مع أنفسهم منطقيون ، **والا فما عساك تنتظر ممن لا يؤمن بصدق نبى الاسلام** ، فضلا عن الايمان بما أوتى من خصائص ومعجزات ! **هل يؤمن بالقرآن الكريم ؟** والقرآن الكريم لدى المسلمين فى مثل ضياء الشمس نهارا والقمر بدرا ليس دونهما سحاب ، أو هو بحمد الله أضوأ .

هل تنتظر منه التصديق بأحاديث الاسراء والمعراج ، ونبع المـاء من بين أصابعه الشريفة ، واطعام الكثير بالزاد القليل ؟ أو هو يؤمن بأن عيسى عليه السلام كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيـه فيكون طيرا باذن الله ؟ وهذا وغيره من آثار قدرة الله كثير .

الصحيحان :

اما أن يخرج الصحيحان البخارى ومسلم أحاديث كثيرة لأبى هريرة فهو أمر طبعى من شيوخ أئمـة الحديث لراو من أعظم رواة الاسـلام ، وذاك واجب الامامين الجليلين فى نقل ما صح عندهما من روايات هذا الصحابى الجليل .

والتعريض بالصحيحين بعد التعريض بأبى هريرة ، والتشكيك فيما يرويان هدف من أهداف أعداء الدين ، ودون ذلك بحمـد الله خرط القتاد ، فاذا كان أبو هريرة قد شهد له شهادة عملية من العدول كل من روى عنه ، وهم فوق الثمانمائة من الائمة الاعلام ، فقد شهد للصحيحين علماء الامة ، وتلقوهما بعد الدرس والبحث بالقبول ، وناهيك بأن يكون منتهى نقد الائمة كالدارقطنى لبعض أحاديث البخارى أنها مع صحتها لم تبلغ ما شرطه الامام البخارى فى رواية الصحاح ، ومؤداه أن بعض الاحاديث أقوى سندا من بعض وهذا أمر طبعى لا بأس فيه .

والدارس المتثبت للصحيحين قلما يجد حديثا واحدا تفرد بروايته راو واحد من أبى هريرة وسواه ليس له شاهد آخر بلفظه أو بمعناه ، ولينظر من شاء من المنصفين صنيع الامام مسلم فى صحيحه وقد عنى بجمع الاحاديث فى المعنى الواحد بأسانيدها المتعددة فى موضع واحد ، ليراه فى تحرى ألفاظ الرواة ، والتثبت منها ومن أسانيدها آية من الآيات .

حقيقـــة :

وبعد : فهذه دائرة معارف كتبها مستشرقون ليست فى الحقيقة كما قال عنها مترجموها فى مقدمة الطبعة الاولى : «نماذج فى البحث والعمق والتحقيق» ولكنها معلومات ، وبعضها وجهات نظر يعوزها التحقيق ، وبعضها ادواء هوى ، أو مطاعن من آثار تعصب مقيت ، كما اعترف الاساتذة المترجمون فى كلتـا الطبعتين الاولى والثانية ، وأشرنا سابقا اليه .

واذا كان من حقنا بل من واجبنا أن نعرف ما يقوله الغرب فينا وعنا فذاك على ألا يكون مصدر علمنا بأنفسنا ، بل على أن يكون فى وضعه الصحيح موضع يقظة وحذر .

المستشرقون فى ميزان العقاد :

أما المغترون بكل ما يقوله المستشرقون ، فيقلدونهم فى **فهمهم لمعان دينية وطعنهم فى شخصيات جليلة اسلامية ، وتشكيك فى الادب العربى ، والرواة العرب ، فى كل فرع من فروع العلم ، أيا كان الرواة على حد تعبير معروف لعميد المشككين** ، فاليهم والى غيرهم نقدم هدية علمية قرأناها فى حينها منذ بضعة عشر عاما ، تبصرة لمن يفرطون فى الثقة حيث لا تتوفر موجباتها ، **فيظلمون أنفسهم وعقولهم ، قبل أن يكونوا للحق ظالمين** — يقول الاستاذ العقاد — طيب الله ثراه — فى كتابه « مطلع النور » من فصل قيم عن الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية ، وحال الادب ، وتوحد اللغة ، وتعرض المستشرقين لما لا يحسنون ، وجهالاتهم أحيانا فى البدهيات ، ويسوق نماذج طريفة عجيبة لبحوث بعض منهم ، وصفوا بأنهم من أعلامهم فيقول :

« ومنهم علامة تصدى لوضع المعجمات الكبرى فى اللغة العربية فكتب فى مادة « أخذ .. أنها تأتى بمعنى نام ، لقوله تعالى « لا تأخذه سنة ولا نوم »..
ومنهم من يترجم « أبا بكر » بأبى العذراء ، لأنه كان والد الزوجة التى بنى بها النبى صلى الله عليه وسلم وهى عذراء .. ومنهم من يقول : ان التضحية تدل على عبادة الشمس ، لأنها من الضحى .. ومنهم من يحسب أن القصيدة من القصد فيترجمها بالكلام الذى يراد معناه » .

ويستطرد فيورد الاعاجيب ، ويكشف من أمرهم ما يكفى لكشف الغشاوات عن بعض العيون والقلوب ان كان الى ذلك سبيل ، الى أن يقول من نفس الفصل تحت عنوان فرعى : **« سوء فهم وسوء نية »**

« والمعهود فى جماعة المستشرقين أن الكثيرين منهم يقرنون سوء الفهم بسوء النية ، لأنهم يخدمون سياسة المستعمرين ، أو سياسة المبشرين المحترفين وينظرون فى بحوثهم نظرة الغربى الذى ينظر الى الشرقى نظرة المتعالى عليه فى حاضره وماضيه ، غير أنهم ما عدا القليل منهم محدودون سطحيون .. »

□ □ □

وأخيرا فعلى مترجمى الدائرة ، وقد اعترفوا أنها تحوى الخطأ حينا ، والهوى حينا آخر ، وقرروا أنهم تجاوزوا الترجمة الى « التعليق على كثير من موادها بالتصحيح ، أو التكملة ، أو رد هوى ، أو درء مطعن » أن يتحروا صحة موادها تحريا كاملا ، وأن يستعينوا بالمختصين كل فى مجال اختصاصه ، وأن ينظروا بعين الاعتبار الى كل ما يوجه اليهم من نقد بناء ، حفاظا على المنهج العلمى ، ووفاء بما شرطوا على أنفسهم ، بل بما دعوا اليه ورحبوا به كل الترحيب من الملاحظات والتصويبات ولهم بعد ذلك كل التقدير .

والله ولى التوفيق .